خاطرة

نـارٌ مـن الـشـوقِ إثـرَ نـارْ
فـلا هـدوءٌ ولا قـرارْ
إنـك لـي مـبـدأ وَعَـوْدٌ
مـنـك إلـى صـدرك الـفِـرارْ
يـا مـرفـأ الـروحِ لا تـدعْـني
بـلا دلـيـلٍ ولا مـنـارْ
مـوجٌ وريـحٌ وزحـفُ لـيـلٍ
فـمـن دمـارٍ إلـى دمـارْ
إن أنـت أخـلفـت وعـد حبـي
لـم تـؤونـي فـي الـديـارِ دارْ
وليسَ لي في الهـوى اصـطبـار
ولـيس لـي دونـك اخـتـيـارْ

ظلام

لا تقـلْ لي ذاك نجمٌ قـد خبـا
يـا فـؤادي كـلُّ شـيءٍ ذهـبـا
ذلـك الكـوكبُ قـد كـان لعيني
الـسـمـاواتِ وكـان الـشُّـهـبـا
هـذه الأنـوارُ مـا أضـيـعـهـا
صِـرْن في جنبي جـراحـاً وظبى
كلمـا أهـدت شعـاعـاً خـلّفت
بـعـده سجـنـاً ومـدَّت قُـضُـبـا

* * *

قـلت أسـلوكِ وكـم مـن طـعـنـةٍ
بـالـمُـداراة وبـالـوقـتِ تـهـونْ

فـإذا حـبُّـكِ يـطغى مُـزبـداً
كـدفـوق السيـل طُغيـان الجنـونْ
وكـذا تـمضي حيـاتي كـلهـا
بـيـن يـأس ورجـاء وظـنـونْ
مـا عـلى الهـجـر معيـنٌ أبـداً
وعـلى النسيـان لا شيء يُعيـنْ

* * *

ذلـك الـحب الـذي فُـزت بـهِ
لا أُبـالي فيـه ألـوان المـلامَـهْ
ذلـك الـشطُّ الـذي ذُقتُ بـه
بـعـد لُـجٍّ أمـنـاً وسـلامَـهْ
إنـه مـزَّق قـلبـي قـسـوةً
وسقـاني المرَّ من كـاس النـدامَـهْ
صـار نـاراً ودمـاراً فـي دمـي
وصـراعـاً بـيـن قـلبٍ وكـرامَـهْ

* * *

ذلك الحب الذي علمني
أن أحبّ الناس والدنيا جميعا
ذلـك الحب الـذي صـوَّر مـن
مُجـدِب القـفـرِ لعـينيَّ ربيـعـا
إنـه بـصّـرني كـيـف الـورى
هدموا من قـدسه الحصن المنيعـا
وجـلا لي الكـونَ في أعمـاقـه
أعيُنـاً تـبكـي دمـاءً لا دمـوعـا

* * *

لم تُعنِيني عـلى صـرف النـوى
آه لـو كنتِ على الـدهـرِ أعنتِ!

قـدرٌ نـكّس مـنـي هـامـتـي
آذن الـدهـر بـبَـيـنٍ وأذِنـتِ
وعـجـيـبٌ أمـرُ حـبٍّ لـم يَـهُـنْ
هـو لـو هـان على نفسي لهُنتِ
لـهفَ قـلبي لـهفـة لا تـنقـضي
كنت دنيـاي جميعـاً كيف كنتِ؟

* * *

كنتِ في بـرجٍ من الـنـور على
قمـة شـاهقـة تغـزو السحـابـا
وأنـا مـنـك فَـراشٌ ذائـبٌ
في لُجَين من رقيقِ الضـوءِ ذابـا
فَـرِحٌ بـالـنـورِ والـنـارِ مـعـاً
طِـارَ لـلقمَّـةِ مـحـمـومـاً وآبـا
آب مـن رحـلتِـهِ مـحـتـرقـاً
وهـو لا يـألـوكَ حبّاً وعتـابـا!

* * *

بَـرِئَتْ نفسي من الحقـدِ ولم
أُخف ضِعنـاً لـكِ بين العَبـرات
إن يـومـاً واحـداً أسـعـدنـي
جمـعَ الأفـراحَ طُـرّاً من شتـات
وهـو عمـرٌ كـامـلٌ عشتُ بـه
كـلَّ أعمـارِ الـورى مجتمعـات
لـستُ أنسـاكِ وقـد علـمْتِـنـي
كيف يحيـا رجـلٌ فـوق الحيـاة

* * *

افرحي ما شئتِ يـا روحي افرحي
أنشـدي مـا نقلتـه الـطيـرُ عني!

واغنمي نفح الصّبا وانتقلي
في الصِّبا الممراحِ من غصنٍ لغصن
وعلى أيْكِكِ ناغي كل من
مرَّ بالأيكِ ونادي كلَّ خِدْنِ
لن يُحبّوكِ كحبي! لن تَرَيْ
ضاحكاً مثلي ولا حزناً كحزني!

* * *

يا كتاب الحُسنِ جَلَّت آيةٌ
من جمالٍ وكمالٍ وشباب
زعموا أنيَ قد خلّدْتُها
بأغانيَّ وألحاني العِذاب
ما أنا شادٍ ولكن قارئٌ
سوَراً من ذلك الحسنِ العُجاب
لم أزل أقرأُ حتى سجدوا
وجعلتُ الخُلدَ عنوانَ الكتاب

* * *

يا ابنة الأصدافِ والبحرُ أبي
قبل أن يُلقي بي الموج هنا
سائلي الأعماق عن غوّاصها
أنا صيَّادُ لآليها أنا!
إن هجَرْنا القاعَ والليلَ إلى
قممٍ شُمٍّ وعشنا في السَّنا
فبنا الأمواجُ والصخرُ وما
برِحَ العاصف في أعماقنا!

* * *

عاصفٌ عاتٍ تمنيت له
هدأةً أين له ما تطلبينْ

اسـألي عـن مـقـلة مـخـلصـة
خبَّـأت رسمـكِ في جفـن أميـنْ
سهـرتْ تـرعـاك مهـمـا لقـيتْ
في سبيـل العهـد والـودِّ المكينْ
أقسـمـتْ لا تسـأل الـنـومَ ولا
تـطلبُ الرحمـةَ منـه بعض حينْ!

* * *

بـعـدمـا غـوَّر نجـمي ودلـيـلي
مـا مسيـري دون تـربٍ وخليـلِ؟
في طـريق الشـوكِ والصخـر وفي
شُعَب الإرهـاقِ والكـدِّ الـوبيـلِ
الـغـريـبـان عـليـهـا الـتـقـيـا
يستعينـان على الـدربِ الـطويـلِ
مـا انتفـاعي بحيـاتي بـعـدمـا
سـاقـكِ التَّيَّـارُ في غيـرِ سبيلي؟

* * *

يـا لـجهـل اثـنيـن أقـدارهـمـا
آه يـا ليـتـهـمـا قـد عَـرَفـا!
مـا الـذي نصنـعُ بـالـعيش إذا
مـا صحـا القلبُ غـريبـاً وغفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
مـا الـسبيـلان عليـه اختلفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
صـار تـذكـاراً فـأمسى أسفـا؟

* * *

عـنـدمـا تُقـفِـرُ دارٌ مـن رفـاقٍ
وتحسُّ السـمَّ في كـاسٍ وسـاقِ

عـنـدمـا يكـشِف بـؤسٌ وجهـهُ
سـافِـرَ اللعنـةِ مفقـودَ الخـلاقِ
عنـدمـا تُمسي بـظلٍّ عـالـقـاً
وبخيط الـوهمِ مشـدودَ الـوثـاقِ
يـا فـؤادي انـظرْ وفكـرْ وأفـقْ
أيُّ قيـدٍ لـكَ بـالأحبابِ بـاقِ؟

* * *

كـلُّ جِـدٍّ عَبَثٌ والـدهـرُ سـاخـرْ
وخبيءُ الـسـر للعـينين ظـاهـرْ
أدَّعـي أنـي مـفـيـم وغـداً
ركبي المضنى إلى الصحراء سائرْ
عنـدمـا صـافحتُ خـانتني يـدي
ووشى خـافٍ من الأشجان سـافـرْ
كـذَبَـتْ كـفٌّ عـلى أطـرافـهـا
رِعشـةُ البعدِ وإحسـاسُ المسافـرْ!

* * *

يـا ديـاراً يـومـهـا من سُـحُـبٍ
وغـيـوم وضَـبـاب أفـق غـدْ
كـل نـبـت عـبـقـريٍّ أطْـلعـتْ
جـعلت مـنـه طعـامـاً لـلحسَـدْ
أخْلَفَ الميثـاقُ مـن كـان بهـا
كـل آمـالـي فـلم يـبـقَ أحـدْ
ضـاع عـمـرٌ وحـصـاد وغـدا
من هشيم كـل مـا كنت أعِـدْ!

* * *

قُم بنـا والكـون جهم كـالـدجى
نـتلمَّسْ مـن جحيـمٍ مـخـرجـا

وانـجُ مـنـه بـبـقـايـا رمَـقٍ
أو حـطام وقـلـيـلٌ مَـنْ نـجـا
لا تُـدِرْ رأيـاً بـه أضْـيَـع مَـن
فـي لـظاهُ مستعينٌ بـالـحِـجـا
واسـألِ الـرحمنَ أن يُصْلحَ عهـ
ـداً كسيحـاً وزمـانـاً أعـرجـا

* * *

عـشتُ وامـتـدَّتْ حـيـاتـي لأرى
في الثرى من كان قبلاً في القممْ
انـهـيـارُ الـمـثُـلِ الـعـليـا وإنـ
ـكـارُ آلاءٍ وكُـفـرٌ بـالـقِـيَـمْ
مَـن يكـنْ عَضَّ بـنـانـاً نـادمـاً
فـأنـا قـطَّعتُ إبـهـامَ الـنـدَم
وإذا انـحطَّ زمـانٌ لـم تـجـدْ
عـالـيـاً ذا رفـعـةٍ إلا الألـمْ!

* * *

ضِـحـكـةٌ ساخـرةٌ هـازلـةٌ
وخـيـالٌ تـافـهٌ هـذي الحـيـاهْ
هـذه الأكـذوبـةُ الكبـرى التي
خُـدِعَ النـاسُ بهـا وا أسـفـاه!
ذلَّ فـيهـا الـمـالُ والجـاهُ إلى
أن غـدا أحقـرهـا مـال وجـاه
نـحمـدُ اللَّهَ على أنَّـا بـهـا
لـم نصُـنْ من ذِلـةٍ إلا الـجبـاه

* * *

عـبَثـاً أهـرُب مـن نفسي ومـن
ذلـك الـسـاكنِ روحي والبـدنْ

مـن لقـلبٍ مستـطار الـلُّبّ مَـن
كـلمـا عـاوده الـتـذكـارُ جُـنّ
أيـنـمـا أمـضـي فـحـوْلـي ذِكَـرٌ
وحـبـيـبٌ ومـكـانٌ وزمـنْ
وربـيـعٌ دائـمُ الـخـضـرةِ فـي
روضـةِ الـنـفسِ وطـيـرٌ وفـنـنْ

* * *

قـصـةٌ خـالـدةٌ لا تـنـتـهـي
وهي مـا كـان لهـا يـومُ ابتـداءِ
أنـا لا أدري مـتـى كـان ولا
أيـن عـنـد الـلَّهِ أسـرارُ الـلقـاءِ
حينمـا لاحَ شِهـابٌ في سمـائي
أسـمـرُ الـنـورِ رفـيـعُ الخُـيَـلاءِ
عـبـقـريٌّ مُـوحشٌ مـنـفـردٌ
مـتـعـالٍ قَـلِقُ الأضـواءِ نـاءِ

* * *

هـو في الأفقِ بـعـيـدٌ وهـو دانِ
هـو لي نفسي وروحي وكيـاني
مخـطـىءٌ من ظَنَّ أنّـا مُهـجـتـانِ
مخـطـىءٌ من ظَنَّ أنّـا تـوأمـانِ
هـو شـطْرُ النّفسِ لا تـوأمُـهـا
هـو منهـا هـو فـيهـا كـل آنِ
نـحـنُ نـبضٌ واحـدٌ! نـحـن دمٌ
واحـدٌ حـتى الـردى متحـدان!